كره العرب للحياكة

Les Arabes abhorrent les Tisserands.

— ٢ —

ذكرنا في ما تقدم (٩ : ٥٣٣) أن مريم البتول ، استرشدت الحاكة ، فدلوها على غير الطريق . روى علي بن ابراهيم بن هاشم ابو الحسن القمي (١) أن مريم حملت بعيسى تسع ساعات (٢) جعل الله الاشهر ساعات لها (٣) ، ثم ناداها جبريل : « وهزي اليك بجذع النخلة » أي هزي النخلة اليابسة . فخرجت تريد النخلة اليابسة ، وكان ذلك اليوم سوقاً ، فاستقبلها الحاكة — وكانت الحاكة احسن حالا وكسباً في ذلك الزمان — فاقبلوا على بغال شهب ، فقالت لهم مريم — ع — : أين النخلة اليابسة ؟ فاستهزأوا بها وزجروها . فقالت لهم : جعل الله كسبكم قليلا ، وجعلكم في الناس عاراً ، ثم استقبلها قوم من التجار ، فدلوها على النخلة اليابسة ، فقالت لهم : جعل الله البركة في كسبكم وأحوج الناس اليكم (٤) .

ولما تولى محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالاندلس ، وذلك سنة (٤١٤ هـ) وزر له رجل حائك ، يعرف باحمد بن خالد ، وهو كان المدبر لامره ، والمدبر لدولته ، واردفي بدولة يديرها حائك ؛ ولم يزل كذلك الى ان خلع وقتل وزيره المذكور في داره ، فقد دخل عليه عوام اهل قرطبة نهاراً فقتلوه بالحديد الى أن برد (٥) .

ثم قال نعمة الله الموسوي : « واما الذي صنعوه الى مريم ، إنما كان من نقصان عقولهم ، كما قال — ع — [وهو الامام موسى بن جعفر كما ذكر هو في ص ١٥٩] : عقل اربعين معلماً ، عقل حائك ، وعقل حائك عقل امرأة ، والمرأة

---

١) قال ابن مطهر الحلي في مقاله : كشف المقال في معرفة الرجال ص ٤٩ « ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب واكثر صنف وأضر في وسط عمره » . (٢) هذا مخالف لمعتقد النصارى اذ تقول ان البتول حملت بعيسى تسعة اشهر (ل . ع) . (٣) يؤيد هذا الرأي قوله تعالى : « فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا » سورة مريم آية ٢٢ (٤) زهر الربيع ص ٢١١ م ، ج — قلنا : لا اثر لهذه الاقاويل في كتب النصارى (ل . ع) (٥) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ٣٧

لا عقل لها ، وفي الحديث : « لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة ، فان الله سلبهم عقولهم» وفي القاموس بمادة (درز) :«واولاد درزة: السفلة والخياطون والحاكة » وفي اساس البلاغة : « وهم اولاد درزة للسفلة والخياطين . قال حبيب ابن جدرة (١) الهلالي :

يا با حسين والجديد الى بلى أولاد درزة أسلموك وطاروا

يريد زيد بن علي — رض — . وقال محمد بن يزيد المبرد : « وقال حبيب ابن جدرة » بالتحريك (ويقال جدرة بالضم وهي السلعة) الهلالي وهو من الخوارج يعني زيد بن علي :

يا با حسين لو شراة عصابة صبحوك كان لوردهم اصدار

يا با حسين والجديد الى بلى اولاد درزة اسلموك وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط : « اولاد درزة » (٢) . وقال أبو هلال العسكري : « وابن درزة : السفلة الساقط . قال الشاعر : « اولاد درزة اسلموك وطاروا (٣) » ولم يذكروا الحاكة . اما صاحب القاموس فقد ادخل الحاكة في السفلة ولو كانوا علموا بذلك لسرقوا قاموسه وعدمناه .

واني كثيراً ما جالست الحوكة ، فرأيت اغلبهم مغتابين ، طعانين ، قليلي العقول ، قبحاء الكلام ، يتنابزون بالالقاب ، وينقاذعون بفاحش الاقوال ، ويتلاحون بردىء المزاح ، ويتناقصون في الحياء . واعرف واحداً منهم يقوم بالفروض الدينية حق القيام ، لكنه وقاع في الناس ، بهات لهم ، حسود ، عنود ، يتكلم على صاحبات المحوكات والنسائج (كالفوط) بالفشار ، والقذع . وطالما ذكر لي انه لم يبلغ مكسبه وقتاً ما مائة ريبة . بل ما امسكت يداه مائة ريبة ولو امانة .

وان ماقدمناه من الاخبار في الحوكة والحياكة ، يجب ان يكون مقيداً بزمان مخصوص أو انسان مخصوص أو بكليهما ، لان اطلاق الحكم في مثل هذه الامور لا يجوز شرعاً

١) قال علي بن سليمان الاخفش في تعليقته على كامل المبرد « الصحيح عندنا : ابن خدرة ، بالخاء وكسرها ، وقال المبرد : لم اسمعه الا جدرة [بالتحريك] ويقال جدرة [بالضم] اه قول الاخفش . (٢) الكامل « ٣ : ٢٤٧ » (٣) جمهرة الامثال ص ٩ .

ولا نقلا ، ولا عقلا ، ولا عرفاً . فان النهي عن الحياكة إماتة لها ، وإماتتها تعطيل الصناعات ، واعدام للحاجات ، ولا يأتي اصلاح الدين من حيث الافساد بل تنقض دعوى من رجح التعميم ، بان كثيراً من الحوكة أثروا إثراءاً فاحشاً وكثيراً أذواء دينمتين وبصيرة منيرة .

وورد في معجم ما استعجم(ص١٦) لابي عبيد البكري ـ كما في « ١ ١٨٩ » من خزانة الادب ـ في الكلام على جزيرة العرب ، عندما ذكر تفرق كلمة العرب ووقوع الحرب بينهم ، وتشتتهم ، الا تزيد تنوخ ، وهي تزيد قضاعة ، قال : « وخرجت فرقة من بني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ورئيسهم عمرو ابن مالك التزيدي ، فنزلوا « عبقر » من ارض الجزيرة ، فنسج نساؤهم الصوف وعملوا منه الزرابي ، فهي التي يقال لها « المبقرية » وعملوا البرود ، وهي التي يقال لها « التزيدية » واغارت عليهم الترك ، فاصابتهم وسبت منهم ، فذلك قول عمرو بن مالك بن زهير :

ألا لله ليـل لم انمه على ذات الحصاب بجنبينا

***

واقبل الحارث بن قراد البهرائي ... ومضت بهراء حتى لحقت بالترك ، فهزموهم واستنقذوا ما بأيديهم من بني تزيد » والله اعلم بصحة هذه الغزوة(١) وروى ابو مخنف في أخبار ما قبل ايام الجمل . قال : « بعث علي ـ ع ـ من الربذة ... عبد الله بن عباس ، ومحمد بن أبي بكر الى أبي موسى الاشعري ، وكتب معهما : « من عبـد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . أما بعد يا ابن الحائك ، يا عاض ... أبيه فوالله اني كنت لارى ان بعدك من هذا الامر ـ

١) الذي عندنا ان هذه الحكاية موضوعة ، لان الترك لم يكونوا يومئذ في ديار الجزيرة ، والذين كانوا في تلك الارجاء : الفرس (بفتح الفاء ، وهم الذين يقال لهم ايضاً الفرث او الفرتيون أو البرتيون ، وهم غير الفرس بضم الفاء) وكان فيهم اقوام اخلاط ويحتمل انه كان فيهم ترك . فجاز للمخبر او للاخباري ان ينطق بمثل هذا القول . (لغة العرب) .

الذي لم يجعلك الله له اهلا . ولا جعل لك فيه نصيباً . يمنعك من رد أمري والانتزاء علي . وقد بعثت اليك ابن عباس ، وابن ابي بكر ، فخلهما والمصر واهله ، واعتزل عملنا مذؤوماً ، مدحوراً . فان فعلت وإلّا فاني امرتهما ان ينابذاك على سواء . ان الله لا يهدي كيد الخائنين . فاذا ظهرا عليك قطعاك أرباً أرباً . والسلام على من شكر النعمة ، ووفى بالبيعة ، وعمل برجاء العاقبة (١) » .

وانما قال له : « يا ابن الحائك » لانه من قبيلة « أشعر » اليمانية . واليمانون يعيرون بالحياكة ، كما تقدم من بحثنا . والله المعين .

مصطفى جواد

الاعمال

Les Actions.

خلوا المقال وقدموا الاعمالا ... وتعجلوا لعراقنا استقلالا
وتبصروا غيب الامور لتأمنوا ... خسرانها وتؤكدوا الآمالا
وامشوا الى غر الفضائل حزماً ... وتجنبوا التنبيس(٢) والاقلالا

* * *

يا أيها النشء الكرام عليكم ... يبني العراق العلم والافضالا
إن العراق بلادكم ومهادكم ... فاستقذوه وحسنوا الاحوالا
وتعاونوا وتكاتفوا وتقدموا ... ليذوق أعداء العراق وبالا
وخلوا الاخاء شعاركم وتحصنوا ... بالحق واتخذوا النجاح منالا
والى الشجاعة والاباء تساندوا ... إن المحرر لا يخاف قتالا

مصطفى جواد

* * *

١) ابن ابي الحديد ، مج ٣ ص ٢٩١ ، . (٢) أي التأخر .